



التداولية قبل أوستين واقع أم تهيؤ؟

بريجيت نرليش ودافيد د. كلارك
ترجمة: أ. حافظ إسماعيلي علوي
جامعة قطر – قطر

hafid.ismaili@qu.edu.qa

*Received: 01 Mar. 2014,
Revised: 01 Apr. 2013, Accepted: 30 Apr. 2014
Published online: 1 May 2014*

التداولية قبل أوستين: واقع أم تهيؤ؟

بريجيت نرليش ودافيد د. كلارك
ترجمة: أ. حافظ إسماعيلي علوي
جامعة قطر - قطر

الملخص

ظهرت التداولية، باعتبارها فرعاً من فروع البحث اللساني، خلال الثلاثينيات من القرن العشرين، عندما انخرط أوستين في البحث عن تصور جديد للمعنى في سياق الأفعال الإنسانية. ومع ذلك كانت هناك تداولية قبل التداولية؛ إنها تداولية تبحث في المعنى بالإحالة على الوضعية التي ينتج بها هذا المعنى عبر اللغة، وبالإحالة على بناء المعنى في التفاعل اللساني، وبالإحالة على الأفعال الإنسانية عموماً، وبشكل خاص بالإحالة على الأهداف التي نود تحقيقها في هذا التفاعل. سوف نقدم حالات ممثلة لنظريات التداولية البدئية من خلال برناردي، وريد، وذيبولت، وأيضاً من خلال بعض التداوليين قبل ظهور التداولية كغينر، وغاردنر، وبولهان.

الكلمات المفتاحية: تاريخ اللسانيات، التداولية، فعل الكلام، السياق، الذاتية، القرن التاسع عشر، برناردي، ريد، وذيبولت، فغينر، وغاردنر، وبولهان.

Pragmatics Lefore Austin: Fact or Fantasy?

Brigitte Nerlich David D. Clarke

Traduction: Prof. Hafid Ismaili Alaoui

Qatar university – Qatar

Abstract

Pragmatics as a field of linguistic inquiry was born in the 1930s when Austin began to think about a new conception of meaning in the context of human action. However, there was a pragmatics before pragmatics, that is, a reflection on meaning with reference to the situation in which meaning is produced via language, with reference to the construction of meaning in the situation of linguistic interaction, with reference to human action in general, and in particular with reference to the goals we want to achieve in this interaction. We shall present a representative sample of such theories as proposed by the protopragmatists Bernhardt, Reid and Thiébault, and by the pragmatists avant la lettre Wegener, Gardiner and Paulhan.

Keywords: History of linguistics, Pragmatics, Speech Act, Context, Subjectivity Europe, 19th century, Bernhardt, A.F, Reid, T, Thiébault, D. Wegener, P. Paulhan, F. Gardiner, A. H.

التداولية قبل أوستين: واقع أم تهيؤ؟

بريجيت نرليش ودافيد د. كلارك
ترجمة: أ. حافظ إسماعيلي علوي
جامعة قطر - قطر

١. مقدمة:

تعنى التداوليات بدراسة الأفعال اللغوية، واستعمال اللغة في السياق والخطاب. وعموماً، تظل التداوليات تخصصاً معرفياً ناشئاً. لكن عندما ننظر إلى التداوليات عن قرب، ندرك أنها تمتع من تقاليد شتى، تضرب بجذور عميقة في البلاغة، وعلم النفس، وفلسفة القانون، إلى جانب تخصصات أخرى.

وسنقدم في هذا المقال لمحة عامة عن التداوليات في أوروبا خلال القرن التاسع عشر، من خلال إعادة رسم مسار ثلاثة تيارات كبرى، شكّلت الفكر التداولي الأوروبي، وهي: الفرع الفرنسي الذي يدرس سمات الذاتية في الكلام، والفرع الألماني الذي يدرس السمات الحوارية في اللغة، علاوة على وظيفة اللغة التي تحدد التأثير في الآخرين، وأخيراً الفرع الإنجليزي، الذي انشغل، ابتداءً من نهاية القرن الثامن عشر، بتحليل الأفعال اللغوية، بوصفها عمليات اجتماعية. ويمكن أن نضيف إلى هذه التقاليد الثلاث، ذات الجذور الأوروبية، تقليداً رابعاً، يتعلق الأمر بالنسخة الأمريكية للتداولية المنبثقة عن الذرائعية (*pragmatisme*)، ولكننا لن نتحدث عنها في سياق هذا المقال.

أربعة تقاليد كبرى:

التقاليد الأنكلوساكسونية:

أوستين (*Austin*)، وسورل (*Searle*)، وغرايس (*Greice*)، وسبيربر (*Sperber*) / ويلسون (*Wilson*)... السياقية والوظيفية البريطانية.

التقليد الجرمانى:

هابرماس (*Habermas*)، وآبل (*Apel*)...

التقليد الفرنسى:

بنفنيست (*Benveniste*)، وديكرو (*Ducrot*)، وريكاناتي (*Recanati*).

التقليد الأمريكى:

بورس (*Peirce*)، وموريس (*Morris*)...

لقد استعملت هذه التقاليد جميعها بعض الكلمات المفاتيح لتبلور نسخها الخاصة من «التداولية» *Pragmatique*، وهذه الكلمات المفاتيح مجتمعة هي التي تحدّد الحقول المتعددة والمتغيرة، ولكن المترابطة، للبحث في المظاهر التداولية للغة.

الكلمات المفاتيح:

التقليد الأنجلوأمريكي:

(الفعل الكلامي) *act Speech*، (المعنى) *meaning*، (الاستعمال) *use*، (القصد) *intention*، (السياق) *context*، (الوظيفة) *function*، (التداولية) *pragmatic*، (الإنجازية) *performatif*.

التقليد الجرمانى:

(الفاعل الترنسدانتالي) (*Subjekt*) (المتسامي) *transzendentes*، (الحوار) *dialog*، (الضمائر) *Pronomem*، (الفعل الكلامي) *Sprechakt*، (العمل الكلامي) *Sprechhandlung*.

التقليد الفرنسى:

تأثرت بنظرية الأفعال اللغوية منذ 1970م،
تأثرت بالذرائعية الأمريكية منذ قراءة آبل
(Apel) لبورس (Peirce).

التقليد الفرنسي:

نظرية فعل القول:

لها جذور معلنة في تراث التداولية البدئية
التي تمتد من لوك (Locke) وكوندياك (Condillac)
وصولا إلى بنفنيست (Benveniste)، مروراً ببريال
(Breal) وبالي (Bally)،

- تأثرت بنظرية الأفعال اللغوية منذ 1958م.
- تأثرت بالنفعية الأمريكية منذ قراءة ياكوبسون
(Jakobson) وبنفنيست (Benveniste) لبورس
(Peirce) وموريس (Morris).

التقليد الأمريكي:

الذرائعية/التداولية باعتبارها جزءاً من
السيميوطيقا (Semiotique):

لها جذور في نظرية القرون الوسطى للعلامات،
وسيميوطيقا لوك (Locke)، وفلسفة كانط (Kant).
هذه التقاليد «التداولية» (وأخرى غيرها)،
درست منذ انبثاق تداولية أوستين الرسمية؛ يعني
منذ سنة 1970م (انظر برونورث (Braunroth)
وآخرين 1978م؛ شلين- لانج (Schlieben- Lange)
1979)، نرليش (1984، 1986) [Nerlich م]، ولكن
لم تأخذ التأمّلات حول «تاريخ» التداولية مسارها
الحقيقي إلا في سنة 1990م^(□). إن المفارقات
التي يمكن أن تواجهنا عندما نريد كتابة «تاريخ
التداولية» قد اكتشفت في الماضي القريب (انظر:
نرليش وكلاارك 1998، أورو 1998).

□- انظر ضمن آخرين:

Schuhmann et Smith 1990; Biletzki 1996; Nerlich
1996; Nerlich et Clarke 1994, 1995, 1996;
Verschueren et al, 1995; Posner et al., 1998; Seuren
1998; les articles d' Auroux, Larcher, Rosier-Catach
et Tollis dans Histoire Épistémologie Langage XX/I,
1998; Noordegraaf et Vonk.

(الذاتية) Subjectivité، (سمات الذاتية)
subjectivité de marqueurs، (التحيين)
actualisation، (التأشيرية) indexicalite، (القول
والفعل) faire et dire، (الفعل الكلامي/الفعل
اللغوي) (acte de parole/ langage).

التقليد الأمريكي:

(الذرائعية) pragmatism، (الدلالة)
meaning، (الفعل) action، (السلوك) behaviour،
(المؤول) interpreting، (السيميوزيس) semiosis.

تجد هذه التقاليد وكلماتها المفاتيح جذورها
في فلسفات اللغة المختلفة، كما أنها تأثرت ببعضها
البعض.

الجذور التاريخية وتيارات التأثير:

التقاليد الأنجلوساكسونية:

لنظرية الأفعال اللغوية:

- جذور في مؤلف هوبز (Hobbes) وريد (Reid)،
ولكن لا يتم الإحالة عليها،
- جذور مباشرة في مؤلف فريجه (Frege)،
وأعمال بريتشار (Pritchard)،
- لها جذور في تعارضها مع الوضعية المنطقية،
- لم يكن لها اتصال بما سيأتي.

السياقية والوظيفية البريطانية:

لها جذور في أعمال سمارت (Smart)، وويلبي
(Welby)، ومالينوفسكي (Malinowski)،

تأثرت بالتقليد الأمريكي من خلال المراسلات
بين بورس (Peirce) وويلبي (Welby)،

تأثرت بالتداولية الألمانية من خلال أعمال
فيجنر (Wegener) وبوهلر (Bühler).

التقليد الجرمانى:

التداولية الترנסدانتالية [المتسامية]
والكونية:

لها جذور معترف بها في مؤلفات التداولية
البدئية protopragmatique لكانط (Kant) وبوهلر
(Bühler)،

المفهومين الأكثر أهمية اللذين أدمجهما كانط (Kant) ولوك (Locke) قد كانا، على التوالي، مفهوم العمل الاختياري والتلقائي للذات المفكرة، ومفهوم الفعل الاختياري والسيميائي للذات الدالة. وخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، درس جوهان سيفيرين فاتر (Johann Severin Vater) النشاط السيميائي بشكل خاص، ودرس أوغست فردينان برناردي (August Ferdinand Bernhardt) النشاط الترנסدانتالي. فكل منهما كتب مؤلفه على هامش فلسفة اللغة أغرقتها الأعمال المنجزة التي كتبت في إطار التقليد المهيمن للسانيات التاريخية والمقارنة.

لقد أقام فاتر (Vater) تمييزا بين اللغة بوصفها وسيلة للتواصل، والكلام باعتباره فعلا للتواصل وللتمثيل والدلالة (فاتر، ١٨٠١، ١٣٦). ومرة أخرى سنجد هذا التصور للكلام باعتباره فعلا دلاليًا قصديا أو (Bedeutungsverleihung) عند هومبولت (Humboldt) (وبعد ذلك عند هوسرل (Husserl) وبوهلر (Bühler)؛ فاعتبار الكلام تمثيلا أو تصوّرا (Darstellung)، على العكس من ذلك، يعتبر إرثا عن الفلسفة الكانطية، التي أعاد صياغتها روث وبرناردي على نحو جديد (Roth et Bernhardt) (انظر نرليش ١٩٩٨).

فقد نشر برناردي مؤلفه «النحو» (Sprachlehre) خلال الفترة نفسها التي نشر فيها فاتر (Vater) كتابه؛ فاللغة بالنسبة إليه هو أيضا، هي ملكة تمثيل (darstellen) تمثلاتنا (Vorstellungen) من خلال أصوات منطوقة (برناردي، 1801، ص 16). ومع ذلك فإن التمثيل ليس ذاتيا صرفا، إنه نوع من التذاوت، ومن الحوارية، فالفهم هنا على الدرجة نفسها من أهمية التمثيل، والتمثيل لا يكون في الحقيقة تمثيلا تاما إلا من خلال الفهم. وفي تصور برناردي فإن اللغة ليست أيضا مجرد نظام بسيط من العلامات مستعمل لتمثيل الأفكار، بل هي فعل خارجي من خلاله تُربط «دواخل» المتكلم والمستمع، إنه حدث تخاطبي (interlocutionnel). فالرابط بين المتخاطبين يتم من خلال الصوت

ونقترح هنا نظرة عامة عن بعض التطورات الأساسية للتقاليد الأوروبية الثلاث. ولمن يودّ التوسع أكثر، فإننا سنذيل المقال بملحق ببعض الاستشهادات المهمة (وهي، من طبيعة الحال، اختيارات ذاتية بالأساس).

٢. نماذج عن تداولية ما قبل التداولية؟

إن مصدر الأفكار التداولية في ألمانيا هو الفلسفة الترנסدانتالية والهرمينوطيقا، والجدل بين الذات والموضوع، الذي عوّضه الجدل بين الذات والمستمع. وفي إنجلترا، شكلت فلسفة الحس المشترك (la philosophie du sens commun)، ونقد تصورات لوك حول فلسفة اللغة مصادر للأفكار

التداولية. فتصور الكلمات باعتبارها ممثلا للأفكار والأشياء، استُعيض عنه بنظرية الأفعال اللغوية باعتبارها عمليات اجتماعية في السياق. أما الأفكار التداولية في فرنسا فقد انبثقت من نقد المذهبين من جهة، ومن الموضوعات التي يؤثرها المذهبين ومُشايعوهم من جهة أخرى؛ لنذكر على سبيل المثال وصف الوسائل التي من خلالها يتم إدخال العلامات اللغوية الافتراضية حيّز الإنجاز، ووصف النقاش المتمحور حول رتبة الكلمات في الجملة.

لقد حاولنا في كتابنا «اللغة، الفعل والسياق» (نرليش وكلاارك 1996)، إعادة بناء هذه العناصر حول التفكير التداولي قبل أوستين. وفي هذا المقال سنحلل بعض الحالات التي يمكن أن تكون مقبولة كنظريات تداولية قبل التداولية، وبإمكان القارئ أن يحكم ما إذا كان الأمر يتعلق هنا، فعلا، بحقائق أم بأوهام.

١.٢. برناردي (Bernhardt) وفيغنر (Wegener):

يعتبر معظم لسانيين القرن التاسع عشر الألمان اللغة بمثابة جسم (organisme) مستقل؛ لذلك لم يهتموا قط بعناصرها التداولية. غير أن أشياخ فلسفتي كانط (Kant) ولوك (Locke)، واصلوا ممارسة التأثير في فلسفة اللغة التي كانت تحيا على هامش اللسانيات التاريخية والمقارنة. إن

ومرة أخرى يقول فغينر إنه من هنا تبرز اللغة. إنها ليست نظاماً قارئاً من العلامات لتمثيل الواقع، بل هي نظام من العلامات في تطور دائم، يمتح من هذا الواقع، ويشكل جزءاً من لغة الاستدلالات (*Inferences*) المرتكزة على التأويل السياقي (انظر فغينر، ١٨٨٥/١٩٩١، ٦٦-٦٧).

إن تصور فغينر للغة هو تصور سياقي إذن، لكنه أيضاً تصور وظيفي وتداولي. فهو تداولي لأن الوحدة المعتمدة في التحليل هي الفعل اللغوي الذي يعد فعلاً قصدياً يتوخى هدفاً ما. وفي سنة ١٩٢١م تحدث فغينر أيضاً عن الفعل اللغوي القصدي.

وقد حلل فغينر في كتابه «أبحاث» (*Untersuchungen*) فعل الأمر باعتباره فعل اللغة الأساس، وفعل ترويض لساني. ففعل القول عنده هو أمر أو تعليمات موجّهة إلى مستمع لاستحضار وضعية ما، وتعد كل كلمة أمراً (*Imperatif*) جديداً. إن طلب فهم جملة معينة، والعمل الاستنتاجي للمستمع الذي يدرك معناها، يصيران من خلال التكرار عملية طقوسية، وبذلك يصبح الفهم عملية آلية (فغينر ١٨٨٥، ص ١٠٠).

ولنمض الآن إلى الأمر باعتباره كذلك، فجملة: «جعة» (*Une bière*) على سبيل المثال. (فغينر 1921، 150). كيف يمكن أن نفهم هذا الملفوظ كأمر بإحضار جعة؟ فمفاتيح الفهم ليست ماثلة في هذه الجملة - الكلمة نفسها (باستثناء التنغيم)، إنها ماثلة خارج الجملة، في المقام النمطي داخل الحانة، حتى في النطق بهذه الكلمة معزولة، وتهيء المستمع (النادل مثلاً) لسماع جملة ما في مقام كهذا.

ينظر فغينر إلى اللغة إذن، باعتبارها ممارسة اجتماعية في سياق، ويتبنى الفعل اللغوي كموضوع أساس في اللسانيات، وهي مقاربة كانت وراء ظهور أعمال أخرى في ألمانيا، كأعمال مارتي (*Marty*) وبوهلر (*Bühler*)، وتبناها في إنجلترا الأنثروبولوجي مالمينوفسكي (*Malinowski*)، وعالم الآثار المصرية غاردنر (*Gardiner*)، واللساني فيرث (*Firth*).

المنطوق. يتعلق الأمر هنا، إذن، بنقل اللغة إلى كلام عبر فعل ذاتي للمتكلم، ونقل الكلام باعتباره تخاطباً إلى لغة بوصفها نظام علامات - تلك هي الأفكار التي سنجدها في النظريات التداولية البدئية الفرنسية.

كادت هذه الأفكار حول التداولية البدئية أن تُنسى تماماً في ألمانيا، حين احتل التاريخ المقارن للألسن والأصوات طلائع المشهد اللساني. ولكن إرث كانط ولوك سيعاود الظهور خلال نهاية القرن التاسع عشر، في حين كان التفكير الفلسفي حول اللغة يتداخل بتفكير من طبيعة بيسيولوجية، وليس أدل على هذا الاتجاه من أعمال فيليب فغينر (*Philipp Wegener*).

نجد لدى فيغينر نظرية للخطاب مدرجا في المقام والسياق، وكذلك نظرية للفعل اللغوي باعتباره عملاً؛ فالأول شكل محور كتابه الصادر سنة ١٨٨٥م «أبحاث حول المسائل الأساسية في حياة اللغة» (*Untersuchungen tiber die Grundfragen des Sprachlebens*)، والأخير هو موضوع مقال نشر سنة (1921م) بعد وفاته، حول الجملة - الكلمة. وقد بنيت هذه النظريات للإجابة عن سؤالين جوهريين هما:

(١) ما وظيفة اللغة؟

(٢) كيف نفهم اللغة؟

بالنسبة إلى فيغينر فإن وظيفة اللغة ليست هي التعبير عن الأفكار أو تمثيلها، ولكن هي التأثير في الآخر، والحصول على وقع فيه، ما دامت اللغة تستمد منبع وجودها فلسفياً وأنطولوجياً من الآثار التي تحدثها في المتلقي. فالوظيفة اللسانية تصبح شكلاً، وهذا موضوع سنلقيه لدى بريال (*Bréal*). سنجد إذن، المتكلم والمستمع، والهدف من الكلام، كما هو الحال عند فاتر (*Vater*)، لكن فغينر يركز أكثر على المقام والسياق. بحيث يمكن للمستمع أن يفهم ما يقوله له المتكلم (ويكون ذلك أحياناً بشكل ضمني) فقط ضمن سياق لساني ومعرفي وغير لساني (*extra-linguistique*) مركب فحسب.

٢.٢. ريد (Reid) وغاردنر (Gardiner):

يمكن أن نجد بدايات للتفكير في البحث السياقي والعاملي (Actantiel) في اللغة في مؤلفات الفلاسفة السكوتلانديين حوالي القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر. فنقطة البداية هي فلسفة الحس المشترك عند توماس ريد، الذي كان له أيضا تأثير حاسم في فرنسا بإلهامه فلاسفة الاستعراش (Restauration) ككوزان (Cousin) وجوفروي (Jouffroy)، وإثارة تحليل أولي للأفعال اللغوية عند غارنيي (Garnier). وفي إنجلترا، ستفضي هذه الفلسفة إلى تفكير حول اللغة في السياق وفي الاستعمال عند ستيوارت (Stewart) وسمارت (Smart). ومن المحتمل جدا أن تكون فلسفة الحس المشترك هذه قد ألهمت أيضا، فلسفة القانون والوعد كفعل لغوي لدى أدولف رايناخ (Adolf Reinach)، الذي اشتغل في ألمانيا تحت تأثير كل من مارتني (Marty)، وفريجه (Frege) وهوسرل (Husserl).

وفي محاولاته حول القوى الفكرية للإنسان (1785/1872م)، انتقد ريد التصور الأرسطي، الذي يمجبه يكون نوع الجملة الوحيد القابل لأن يحلل فلسفيا هو الحكم. فبالنسبة إليه هناك أنواع أخرى من الجمل يمكن أن نعالجها بالكيفية نفسها (ليس فقط في الخطابة) مثل الوعود، والتنبيهات، والاعتذارات، وخلافا «للعمليات المنعزلة» للعقل مثل الحكم، يطلق عليها اسم «العمليات الاجتماعية» أو «الأفعال الاجتماعية» نظرا إلى أنها دائما موجهة نحو الآخر. وهي أبعد ما تكون عن الأفعال الذهنية الثانوية، فهذه الأفعال الاجتماعية تحظى بالأولوية، بينما الأفعال المنعزلة متفرعة عنها. نلاحظ هنا ما يمكن أن نسميه مبدأ الأولوية التداولية. فاللغة، ليست بالأساس تعبيرا عن الفكر، بل هي تعبير عن إرادة موجهة نحو تحقق الفهم عند الآخرين. وجدير بالإشارة أن هناك أفعالا للغة، كالوعد، تتوقف الدلالة، بل ووجودها نفسه، على إدراكها Uptake من الآخر.

لقد كانت فلسفة اللغة لريد (Reid) معروفة

جدا في إنجلترا، وخصوصا في كامبريدج، حيث قرأ عالما النفس ستوت (Stout) ووارد (Ward) أعمال ريد، مثلما قرأ أعمال راسل (Russell) ومور (Moore)، وربما فيتجنشتاين (Wittgenstein). كما قرأه أيضا غرايس (Grice) في أوكسفورد، ومن المحتمل جدا أن يكون أوستين على معرفة به أيضا. إن نظرية الوعد، التي ناقشها ريد جاءت من هيوم (Hume)، وكانت مألوفة أيضا عند أوستين، لكنه تعرف عليه من خلال مؤلف زميله هارلود آرثر بريشارد (Harold Arthur Pritchard) الذي حلل هذه القضايا خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، التي كان على علم بها.

من جهة أخرى، وُجد أيضا تراث «لساني» للتفكير التداولي في إنجلترا. في هذا التراث، شأنه شأن التراثين الألماني والفرنسي، فإننا لا نعالج التقابل بين الإخبار والوعد، أكثر مما نعالج التباين الحاصل بين الإخبار والأمر. وفي هذه الحالة فإن تأثير فغينر كان مهما في تقدم الوظيفة والسياقية [النهج السياقي] الإنجليزية.

لقد أهدى السيد ألان غاردنر (Alan Henderson Gardiner)، عالم الآثار المصرية كتابه المشهور حول «نظرية الكلام واللغة» (The Theory of Speech and Language) (1932) إلى فغينر، لكنه كان على اطلاع أيضا على مؤلفات بوهلر (Bühler) وسوسير (Saussure). فقد تقاسم مع بوهلر وجهة النظر التي مفادها أن التمييز بين اللغة والكلام الذي قام به سوسير يحتاج إلى أن يترسخ في نظرية تداولية-سيمائية للغة.

ومباشرة بعد نشر المقال المهم لفغينر حول الجملة-الكلمة، نشر غاردنر سنة 1922م مقالا حول «الكلمة والجملة». ميّز فيه تمييزا جوهريا بين الكلمة بوصفها وحدة لسانية (التعيين)، والجملة بوصفها وحدة للخطاب (اختيار قصدي Volition) [انظر دواي 1984، ص ٥٠٧]، ولكنه تحدث فيه أيضا عن واقعة لسانية أخرى، أراد وصفها، يتعلق الأمر بفعل اللغة. إنه بيت القصيد في كتابه الذي نشر عشر سنوات بعد ذلك.

بطرائق قَدَّدا، فإن فعل اللغة يمكن أن يتحقق بأوجه مختلفة أيضا. يمكن أن نعبر عن نزول المطر بواسطة جمل مختلفة، كأن نقول: "السماء تمطر"، أو "أه! المطر" إلخ. فشكل العبارة يختلف، لكن الوظيفة تبقى هي نفسها. ولكن يمكن أن توجد أيضا أفعال للقول تتنوع فيها القوة التخاطبية، ويبقى المحتوى القضوي هو نفسه: "السماء تمطر"، "هل تمطر؟". لقد اهتدى غاردنر مبكرا إلى الفرق بين المحتوى القضوي والقوة التخاطبية. فهاتان السمتان تميزان كل فعل لغوي لم يُعد أوستين اكتشافه من جديد إلا عبر التقاف ما؛ يتعلق الأمر بتفرع لفعل القول التقريري، وفعل القول الإنجازي.

ومع أن غاردنر قد عرف راسل (Russell) وريل (Ryle)، فإن تأثيره في فلسفة اللغة العادية، وتأثيرها فيه قد كان تأثيرا ضعيفا. ولم يعرف غاردنر فيتجنشتاين (Wittgenstein) معرفة مباشرة، ولا يبدو أنه عرف أوستين. وقد ثمن أوستين بدوره تمييز غاردنر بين اللغة والكلام، ومع ذلك ظل لا يرى فيه إلا فيلسوفا عاديا (انظر الملاحظات في مخطوطة كتاب كيف نفكر بالكلمات، بودلاين، أكسفورد، المجلد الثاني، ص ١١). لقد تجاهل، إذن، أن تكون مصادر التداولية قد بدأت مع كتاب *الكلام واللغة*، وقد كان عنوانه الفرعي «أصول التداولية» في ترجمته الفرنسية).

٢.٣. ذيبولت وبولهايم (Thiébaud et Paulhan):

حللت بريجيت شلين لانج (Brigitte Schlieben) في مقالها الصادر سنة 1989م حول عناصر النظرية التداولية في الأنحاء العامة حوالي 1800م، -مؤلفات سيكارد (Sicard)، وساسي (Sacy)، وتيبو (Thiébaud) ودستوت دي تراسي (Destutt de Tracy)، وقارنتها بمؤلفات برناردي (Bernhardi) وهومبولت (Humboldt).

إن الجامع بين هومبولت وبرناردي والمذهبيين (les idéologues) هو المكانة المركزية التي أسندت إلى الذات، والتي تحظى بحساسية عند المذهبيين، الذات المبدعة والمتعالية عند هومبولت. فتحليل

بفضل الفعل اللغوي، سواء أكان اجتماعيا أم فرديا، تصبح اللغة كلاما. وفي كتابه الصادر سنة 1932م، يتجاوز غاردنر سوسير، إذن، ويتقدم في الاتجاه نفسه شأنه في ذلك شأن منطري فعل القول في فرنسا، من بالي، إلى بنفنيست وريكور (Ricoeur).

المثال النمطي عن فعل الخطاب بالنسبة إليه هو القول «*Il pleut*». فإذا كان اللسان نسقا من الرموز، فإن الكلام هو «نشاط إنساني يتطلب على الأقل وجود شخصين يمتلكان اللسان نفسه، ويوجدان في المقام نفسه» (غاردنر ١٩٣٢/ ١٩٥١، ص ٧، الترجمة الفرنسية، ١٩٨٩م، ص ١٣). نجد هنا العوامل الأربعة للنموذج الأداتي (Organonmodell) لبوهلر، الذي يحيل عليه غاردنر بشكل صريح. ولكن هناك أيضا تشابهات بين غاردنر وأب نظرية فعل القول الفرنسي بنفنيست. بالنسبة إلى غاردنر فإن الفعل الكلامي، إذا جاز استعمالنا لمصطلحات بنفنيست، هو فعل فردي ذو بعد اجتماعي. فالمبادرة تكون من المتكلم، وإن كان المستمع معنيا أيضا "فدوره فاعل وإبداعي في مستوى فاعلية المتكلم" (Douay, préface à (Gardiner 1989, VU).

"فالخطاب إذن، بحسب غاردنر، هو إنتاج مشترك؛ وسيرورة دينامية تركز على تفاعل دائم بين المتكلم والمستمع" (نفسه). ثم أقام غاردنر اختلافا بين المعنى والدلالة أو الشيء المدلول، الذي يقارن اعتمادا على تمييز بنفنيست بين المعنى والدلالة. يطرح أيضا، تمييزا بين الشكل والوظيفة. فالكلمة باعتبارها شكلا لا يمكن أن تعمل، بمعنى تتحمل قوة إنجازية، إلا داخل فعل خطابي يتميز بأن له هدفا معقولا. وتوجد، بحسب غاردنر، أربعة أهداف تناظرها أربعة أنواع من الجمل: تعجب، استفهم، أمر، وأكد. هذه الأنواع الثلاثة من الجمل تقارن بثلاث وظائف في اللغة ميزها بوهلر لمعرفة التمثيل، والتعبير، والمناداة.

إن الفعل الخطابي، إذن، يتمتع بكل السمات المحددة للفعل. وبما أن كل فعل يمكن أن يتحقق

يمكن للغة أن تؤديها في المجتمع؛ فاللغة-العلامة، تصلح لتوحيد العالم الروحي للجماعة، بينما تصلح اللغة- أداة للفعل *Le langage-moyen* *d'action* وقائع جديدة، مغيرة بذلك العلاقة بين المتكلم والعالم والمستمع. فالأمر، على سبيل المثال، يُوجب على المستمع إنجاز فعل، وعلى تغيير العالم (Paulhan 1927, 29). أما فيما يتعلق باللغة- الإيحاء فإنها تخلق التفكير، إنها الوظيفة "الشعرية" بامتياز، ولا تعتبر فيها العلامات أبداً بدائل للواقع، وإنما هي «ذريعة» (ذرائع) لابتكار أفكار جديدة وصياغتها» (ص ٤٢). وإذا كانت الوظيفة الرمزية تسعى إلى أن تخلق الانسجام في المجتمع وتعمل على استقراره، فإن الوظيفة الشعرية تسعى إلى إدخال التناظر فيه ومن ثمة الاختلاف (انظر، ص ٧١).

فبدل أن تصبح اللغة مجرد أداة للتعبير عن مزاجنا، تصبح وسيلة تدفع الآخر إلى التفكير، وإلى الإحساس والحركة وفق ما نريد. وبذلك فإن الكلمة لا تكون علامة، بقدر ما هي أداة فعل بينفسية واجتماعية (ص ٢٢ف).

لقد تأثر بولهان بالتحليل النفسي الاجتماعي لغابرييل تارد (Tarde Gabriel) (وكان تارد من جهته مطلعاً على أعمال بولهان).

ويمكننا أن نستعرض هنا في عرض أفكار حول تحليل الحوار التخاطبي عند غابرييل تارد. ولكن في حدود هذا المقال، فإن مؤلفات رواد التداولية البدئية الثلاثة، وهم برنهاردي (Bernhardi) وريد (Reid) وتيبو (Thiebault)، وهؤلاء التداوليون قبل ظهور التداولية هوم فيغنر وغاردنر وبولهان، نعتبرها كافية لتقديم مقترح يقضي بأن التداولية قبل التداولية ليست فقط محض توهم، لكنها واقعة محتملة. لقد اقتصرنا هنا على بعض القرون، وعلى بعض البلدان، وعلى اللسانيات، وعلى بعض الحقول المتاخمة لعلم النفس. ولكن هناك عناصر أخرى لتاريخ التداولية قبل التداولية يمكن أن تصدر من بلدان أخرى، وفي فترات أخرى، وضمن حقول معرفية أخرى.

الذات في اللغة انطلاقاً من بريال (Bréal) إلى بنفنيست (Benveniste)، وبشكل خاص تحليل إشارات (مؤشرات) هذه الذات (كالضماير عند تيبو (Thiebault)، مثلاً) في اللغة، شكلت مركز الدراسات التداولية في فرنسا (انظر اقتباس تيبو (Thiebault) الطويل في الملحق).

تبنى وجهة النظر هذه أيضاً، بولهان (Paulhan) وليروي (Leroy) ودولاكروا (Delacroix) في مؤلفاتهم، وقد أسهموا جميعهم في النظرية التداولية للغة، والتي تناسها فيما بعد منظرو فعل القول من أمثال بنفنيست. لقد تجاوز بولهان دراسة الذات في اللغة من خلال تحليل الأفعال التي يمكن أن تتجزأ الذات المتكلمة باللغة.

وفي سنة ١٨٨٦ نشر عالم النفس واللساني بولهان، المشتغل في إطار تقليد علم النفس الترابطي، الذي يربطه بتصوير النشاط الحر للذات عند كانط، -مقالاً حول «اللغة الباطنية». حلل فيه ما يطلق عليه «فعل الكلام». وعلى غرار فيغنر وغاردنر فإن التكلم عند بولهان، لا يعني فقط التعبير عن الفكرة. فبولهان يهتم، على وجه الخصوص، بالعلاقة بين معنى فعل الكلام، ورد فعل المستمع؛ أي بتأثيره في المستمع، وبحسب بولهان، فإننا لا نكون واثقين بأن الآخر قد فهمنا إلا عندما نلاحظ فعله (أو رد فعله)، أو على الأقل نزوعاً أو توجهاً نحو الفعل (أو رد الفعل)، ومثال ذلك أن يكون رد فعل متلقي القول: «إنها تمطر» الذهاب للبحث عن مظلتهم. إن فعل القول، في سياق محدد، ليس، إذن، فقط ذا وظيفة رمزية، بل هو أيضاً ذو وظيفة اجتماعية وعملية، وقد تم وصف الوظيفة المزدوجة للغة؛ أي باعتبارها أداة للتعبير والتفكير، وأداة للفعل بتفصيل في مقال نشر سنة ١٩٢٧م، وهو مقال يعالج «الوظيفة المزدوجة للغة»، وقد حلل فيه بولهان اللغة باعتبارها نظاماً من العلامات، وأداة للفعل (1927, *moyen d'action*). وتضاف إلى هاتين الوظيفتين، وظيفة ثالثة هي الوظيفة الإيحائية.

وتتطابق وظائف اللغة هذه أدوار مختلفة

210)

التقليد الفرنسي:

ليس بالإمكان وجود لغة دون وجود متكلم بها، أو شخص يفترض فيه أن يتكلمها: فسيكون من العبث أن نتخيل أننا نتكلم دون أن نكلم أحدا: في الأخير من المستحيل أن نتحدث بالفعل، وألا نتحدث عن شيء. إنها طبيعة الأشياء نفسها إذن، والضرورة ذاتهما هما اللتان تضيفان على اللغة طابع [كذا] المشهد المسرحي الذي نربط فيه الصلة بين ثلاث فئات من الممثلين. وهكذا فإن لنا في اللغة بالضرورة ثلاثة أدوار علينا القيام بها، ثلاثة أدوار نحس بالحاجة المطلقة إليها بمجرد الرغبة في التحدث، ثلاثة أدوار يكون من الضروري، من ثمة، قبولها والاعتراف بتمييزها في تحليل الخطاب.

(Thiebault 1802, 206-207)

تمييز الإرادة عن الأمر:

يميز ريد أيضا الإرادة عن الأمر، الذي غالبا ما نخلطه بها في اللغة العادية. فالقبطان يأمر جنوده، لكن بعبارة دقيقة فإنه لا إرادة له في هذا الأمر، بالمعنى الذي يتوجب فيه على هؤلاء الجنود تقبل تنفيذ. إن إعطاء الأمر يفترض: ١. احتلال الأمر منزلة أعلى من المأمور بتنفيذ الأمر. ٢. الطابع الإلزامي أو الأخلاقي للفعل المأمور به. ٣. إرادة التلطف بالأمر واتخاذ إجراءات ضمان تنفيذه. إنه العنصر الإرادي الوحيد حقا للأمر. إذا ذكر جندي جنديا آخر بواجبه فإنه يكون بالفعل قد أعطاه رأيا لا أمرا، وإذا لم يطلب القبطان من الجندي خدمة عمومية، بل خدمة خاصة فإنه لا يعطيه أمرا، بل يطلب منه شيئا، وللجندي حق الامتناع عن القيام بذلك. الأمر إذن، ظاهرة مركبة جدا لا تشكل فيه الإرادة الحقة إلا جزءا. إن كلمة «أريد» في صياغة الأمر تعني «أعلن عن أن هذا الفعل إلزامي»، ولدي الصفة الكاملة للقيام بهذا التصريح، وأتلفظ بهذا الأمر على نحو إرادي، ولدي إرادة اتخاذ إجراءات إلزامك بالتنفيذ.

(Garnier 1852, I, 323-324)

ملحق

التداولية قبل أوستين (شواهد مختارة)

التهميش الفلسفي للأفكار التداولية:

إن كل جملة دالة [...], ولكن ليس كل جملة تقريرية تعد جملة، فقط تلك التي تحمل الصدق أو الكذب، وليس ثمة صدق أو كذب في الجمل جميعها؛ فالدعاء جملة ولكنه لا يكون صادقا أو كاذبا قط. والبحث الحالي إنما يتعامل مع الجملة الخبرية، ونستطيع أن نغض الطرف عن الجمل الأخرى لأن محل الاهتمام بها يقع في دراسة الخطابة أو فن الشعر.

(Aristotle, *De Interpretatione*, 17a 1-5)

٢. إضفاء الشرعية الفلسفية على الأفكار التداولية:

التقليد الأنكلوساكسوني:

"إن الاستفهام والطلب والوعد، أعمال تقبل أن يحلل كل منها بوصفه قضية، ولكننا لم نجد أن هناك من حاول هذا، فلننا نعطي هذه التعبيرات اسما يختلف كثيرا عن العمليات التي تعبر عنها".

(Reid 1872 [1785], 245)

كتب ريد (Reid) أن أرسطو كان على حق عندما قال:

"إلى جانب ذلك النوع من الكلام المسمى «قضية»، التي هي دائما إما صادقة أو كاذبة، نجد أنواعا أخرى لا تكون صادقة أو كاذبة مثل الدعاء والتمني، والتي يمكن أن نضيف إليها الاستفهام والطلب والوعد والعقد وقضايا أخرى كثيرة».

(Reid 1872 [1774], 692; quoted in Schuhmann & Smith 1990, 53)

"وكل هذا مختلف تماما عن أن (معنى الكلمة = الفكرة BNDC)، كلماتنا عندما تختبر منعزلة، فإنها عادة لا تكون عديمة المعنى كالحروف التي تتكون منها؛ إذ يشق معناها بصورة أساسية من خلال الربط أو العلاقة التي تربطها بغيرها".

(Stewart 1854-1860, V, 154-155; 1810, 209-

التقليد الألماني:

الخاصة بالمعاني الداخلية التي سيعبر عنها، بل من خلال سياقها الأعم للتعاون بين الجماعة، تتحقق عبر الإشارات والإيماءات، فالمعاني لا تتكشف بدون هذه السيرة.

(Mead 1934, 6)

سنسعى تداولية كامل مجال تلك البحوث التي تدخل في اعتبارها [...] الفعل، والحالة، وبيئة الشخص المتكلم أو المستمع، للكلمة الألمانية "blau" (أزرق)، مثلاً.

(Carnap 1939, 146)

ماز موريس التداولية بوصفها "علم علاقة العلامات بمؤولها" وأنها "تتعامل مع مظاهر حيوية للسميوزيس، وهي جميع الظواهر السيكلوجية والبيولوجية والاجتماعية التي تصاحب توظيف العلامات" (موريس، 1938، 6). علاوة على أن البنية اللغوية هي نظام من السلوك باعتبار وجهة النظر التداولية. (ص ١١٠).

التقليد الألماني:

"في الكلمة- الجملة «حذائي» فإن الكلمة- الصورة الخالصة لا تعضد تمثيل الحقائق التي مفادها: (١) أن شخصاً يطلب فعلاً ما و(٢) ماذا يكون هذا الفعل؟ و(٣) من الذي يتوجب عليه تنفيذ هذا الفعل؟ كل هذا يمكن استنتاجه فقط من المقام والإشارات/ الإيماءات. فالكلمة- الصورة تستدعي تمثيل شيء محدد هو في ذهن المتكلم باعتباره شيئاً".

(Wegener 1921, 9-10)

إن إعلان شخص ما عن حياته النفسية ليس هو الشيء الوحيد أو الأساس في التحدث المتعمد؛ ذلك أن ما هو مقصود بالفعل هو أكبر من مجرد التأثير أو السيطرة على الحياة النفسية الدخيلة للمستمع، فالتحدث المتعمد هو نوع من الفعل غرضه استدعاء ظاهرة نفسية معينة لدى الموجودات الأخرى وفي علاقته بهذا القصد يبدو الإبلاغ عن العمليات داخل النفس مجرد أثر

«يمكن تعريف هذه المفاهيم [العلامة مثلاً] من خلال وجهة النظر التالية: (١) الشخص الذي يدل [يستخدم العلامة] و(٢) الذي تستخدم العلامة من أجله [المدلّ له]، و(٣) الغرض من هذه الدلالة، و(٤) نجاح تبادل الغرض و(٥) العلامة، بوصفها أداة، و(٦) الشيء المدلول عليه».

(Vater 1801, 137)

اللغة بقدر ما هي تصوّر (Darstellung)، يمكن بالرغم من هذا مقاربتها من خلال وجهتي نظر مختلفتين؛ أولاً. بوصفها تمثيلاً خالصاً وحرراً يحقق وينجز ذاته، ومن ثم فإن سمة القابلية للنقل يفترض أنها ليست ضرورية هنا، فالممثل يكتفي بذاته ويحدد تمثيله لنفسه ومن ثم للآخرين، ففي كل الأحوال، فإن الاستخدام الذي يصنعه الآخرون من هذا الأمر ذو أهمية ثانوية، أو أن نتصورها على أنها تمثيل تولده الحاجات وهو موجه إلى الآخرين ومعناها لديهم، وفي هذه الحالة يبدو التواصل سمة أساسية، فالإشارة إلى شخص مستقبل يعبر عنها بصورة أكثر أهمية، وأن يفهمها جمع محدد من المستمعين أمر ضروري.

(Bernhardi 1801, 101)

«من الأهمية بمكان في اللغة أن تلعب الثنائية دوراً أساسياً داخل اللغة قياساً إلى أي شيء آخر، فكل كلام يعتمد على التحوار [Wechselrede]، حرفياً: تبادل الكلام] التي يفترض المتكلم من خلالها دائماً وجود المخاطب كشخص يقف في مواجهته، وحتى عندما يكون أمام جمع كبير من الناس [...] ولعل تقسيم البشر إلى صنفين: أصدقاء وأعداء، هو أساس جميع الروابط الاجتماعية البدائية».

(Humboldt 1963 [1827], 137-38)

٣. التداولية قبل تسميتها:

التقليد الأمريكي:

نود أن نقارب اللغة، لا من خلال وجهة النظر

(Paulhan 1886, 47)

بتوالي السؤال والجواب نكون قد باشرنا مقدمات حوار. لكن إذا كان السائل دائما هو نفس الشخص الذي يسأل والآخر هو الذي يجيب، فإن الاستجواب الأحادي الجانب المعني ليس تخاطبا؛ أي ليس استجوابا متبادلا، وتسلسلا وتعالقا للأسئلة والأجوبة والمعلومات والاعتراضات المتبادلة.

(Tarde 1973, 145)

يجب أن يتم بحث اللغة في جميع التنوعات الخاصة بوظائفها، وقبل مناقشة الوظيفة الشعرية لابد أن نحدد موقعها من وظائف اللغة الأخرى، إن بيان تلك الوظائف يتطلب إيضاحا مختصرا لجميع العوامل الفاعلة في أي حدث لغوي وفي فعل التواصل اللفظي.

(الكلمات بخط مائل 1987, 66; 1960, 353; Jakobson
(منا)

الآن "أقسم" هي صورة لقيمة مميزة يتموضع فيها واقع القسم على الشخص الناطق (أنا)، إن هذا المنطوق هو أداء [وليس إنجازا] ف "يقسم" تتكون تحديدا من المنطوق "أقسم" الذي تنقيد به الأنا، إن المنطوق "أقسم" هو فعل يلزمنا تماما وليس وصفا للفعل الذي أشكله، فبقولي: أعد، أضمن. أصنع بالفعل وعدا وضمانا [...] فيتحدد المنطوق بالحقيقة عينها، ولكن هذا الشرط ليس مستفادا من معنى الفعل، إن موضوعية الخطاب هي ما تجعله ممكنا.

(Benveniste 1966 [1958], 265; Engl. transi. 1971, 229)

التقليد الإنجليزي:

سأغمر بصورة لافتة كي أبين أن اهتمامي ليس منصبا على ما يسمى «معنى» كل ما «يثبت إدراكه وفهمه» ولكن على تحليل الفكرة التي نطلق عليها بالإنجليزية، للأسف، المصطلح «معنى»، إنه في الحقيقة قصد وغرض وهدف وموضوع، وربما يكون دافعا، لذا حينما أستخدم رمزا ما أقصد

(pârergeron) جانبي

(Marty 1908, 284)

وبالنسبة إلى رايناخ (Reinach) فإن فعلا من قبيل «أعطى» في «أعطى الأمر»، لا يمكنه أن يوجد بوصفه فعلا، إلا عندما:

لا ينقسم إلى إنجاز ذاتي لفعل أو حالة عارضة، ولكنه يشكل وحدة داخلية للإنجاز والمنطوق المتعمد، إن التجربة هنا مستحيلة في ظل غياب المنطوق، والمنطوق بمكوناته ليس شيئا تتم إضافته كملحق عارض إضافي، فهو بالأحرى يقف لخدمة الفعل الاجتماعي في سبيل أن يحقق وظيفة الإبلاغ [kundgebende Funktion]. بالتأكيد ثمة عبارات عارضة تتعلق بالأفعال الاجتماعية مثل: "أعلنت طلبا" غير أن مثل هذه العبارات تتصل حينها بالفعل الاجتماعي الكلي من خلال بعدها الخارجي.

التقليد الفرنسي:

إن محتوى هذه الجمل [في الكتب المدرسية] يعيننا بشكل كبير؛ وغالبا ما نخطئ في اعتبارها موضوعية أكثر من اللازم، أو بعبارة أخرى أدق وصفية أكثر من اللازم، ومستقاة أكثر من خارج الحياة الواقعية للطفل. فاللغة لم توضع فقط لقول «الشمس تضيء القرية» «تصب الأنهار في البحر». بل توظف اللغة أيضا، وقبل كل ذلك، للإفصاح عن الرغبات، وصياغة الطلبات، والتعبير عن الإرادات. فمن الأفضل أن نخصص حيزا لهذا الجانب الذاتي إذا نحن أردنا أن نستميل التلميذ لاستعمال الأداة الموضوعية تحت تصرفه [...] ولا أحد يتحدث عن تطبيق القواعد النحوية.

(Bréal 1877, 361-362)

كي أعتبر أنني قد فهمت الكلمتين «السماء تمطر» يكفي أن أحمل مظلتي على نحو واع أو شبه واع، في الوقت الذي أهم فيه بالخروج. إذا تصرفنا على هذا النحو، يمكننا أن أقول بالفعل إنني قد فهمت الكلمتين «السماء تمطر»، حتى وإن كنت لم أربطهما أبدا بالصورتين اللتين تمثلانها.

هناك في جمل لغتنا الطبيعية ما وظيفته الأساس ليس وصف الأشياء أو الأحداث أو الأشخاص أو أي شيء آخر، ولا حتى التعبير عن المشاعر الطيبة والأحاسيس، ولكن لفعل أشياء مثل المطالبة بالحقوق (هذا لي)، أو إعطاء الحقوق حين تتم المطالبة بها (هذا لي) أو نسبة الحقوق وعزوها سواء أتمت المطالبة بها أم لا (هذا له) ونقل الحقوق (هذا لك الآن) وكذلك الاعتراف أو النسبة أو صناعة اتهامات بالمسؤولية (أنا فعلت هذا/ هو فعل هذا/ أنت فعلت هذا) فربما يكون الغرض الأساس من هذا المقال هو اقتراح أن التحليل الفلسفي لمفهوم الفعل الإنساني غير مناسب ومُربك على الأقل في جزء منه، لأن جملاً من قبيل (هو فعل هذا) تم النظر إليها بصورة تقليدية على أنها وصفية بالأساس، في حين أن وظيفتها الجوهرية أجازف بتسميتها (عزوية) بمعناها الأكثر حرفية وهو عزو المسؤولية عن الأحداث، ومثلها الوظيفة الأساسية لجمل من الصورة (هذا له) فهي تعزو حقوق الملكية.

(Hart 1951 [1948], 145)

بالنسبة إلى فئة كبيرة من الحالات -وليس كلها- التي نوظف فيها الكلمة "معنى" يمكن تعريفها على النحو الآتي: معنى كلمة ما هو استخدامها داخل اللغة.

(Wittgenstein 1958, § 43)

إن صدق عبارة ما أو كذبها لا يعتمد فقط على معاني الكلمات ولكن على الفعل الذي تشكله في ظروف معينة.

(Austin 1962, 145)

٥. فلسفة اللغة تنسى تاريخ التداولية :

إن أحد الأسباب التي تجعل موضوع أفعال الكلام موضوعاً ممتعاً جداً، هو أنك لا تقلق بشأن ما يقوله كل أعلام الماضي العظماء، لأن معظم الفلاسفة الكبار لم تكن لديهم نظرية حول أفعال الكلام، فلن تجد، بحسب علمي، رؤية كانط حول الاعتذار أو التهنئة.

(Searle 1984, 25)

أن تفهم ما يشير إليه، أقصد إلى إيصال بعض التصورات أو المفاهيم أو معرفة خاصة ببعض الحقائق، فالعلامات والرموز لا «تعني» إنها ترمز وتشير، فقط من يستخدمها يستطيع أن يعني بها شيئاً آخر.

(Welby, February 4, 1904; voir Noordegraaf 1991, 288)

التكلم، بالنسبة إلى مالينوفسكي هو «شكل من أشكال الفعل» والتعاون. فلغة في الجوهر طابع تداولي (ص ٣١٦).

تستعمل الكلمة حين تكون قادرة على إنتاج فعل وليس على وصفه، وبصفة أقل على ترجمة الفكر.

(Malinowski 1923, 322)

إن الكلمة تعني إلى المتحدث الأصلي الاستخدام الشائع للشيء الذي تشير إليه. (ص 321).

إن اللغة كما أطمح أن تراها تدرس عاملاً اجتماعياً لا ينفصل عن البيئة التي تعطي دافعه، ولا ينفصل عن المستمع الذي يبرهن بفعل أو باستجابة لفظية على توظيفه العملي، إنها آلية لتوصيل الفكر فهي ليست نظيره أو روحه.

(Gardiner, 1919, 5)

ثمة محاولة فجأة لوصف فعل كلامي وحيد وتحليله قدمت في ورقة خاصة بي لم تلق قبلاً عندما عرضت للنشر، وبمناشدة د. راسل Russell الذي كان متعاوناً ليعبر عن رأي مفاده أن محتوياتها يمكن أن تكون نواة مناسبة لكتاب.

(Gardiner 1951, [1932])

٤. الفلسفة تعيد اكتشاف التداولية :

بينما يمكن للوعد أن يكون إما عن يقين جيد أو غير جيد، فإنه لا يسمح للجميع بأن يكون الوعد إما صادقاً أو كاذباً، علاوة على أنهم يصرون على أن الوعد يشبه طرح سؤال أو طلب حيث يصر على تقديم تصريح، بل فعل شيء معين بالمعنى الذي يجعلنا نضع الفعل في مقابل مجرد التكلم.

(Prichard 1949, 171)

المراجع

المراجع المذكورة في الملحق:

- Austin, J. L. (1962). *How to Do Things with Words*. The William James Lectures delivered at Harvard University in 1955, éd. Par J. O[pie] et M. Sbisà, Oxford, Oxford University Press.
- BENVENISTE, E. ([1958] 1966). *De la subjectivité dans le langage*, «Problèmes de linguistique générale, vol. 1, 276-258, Paris, Gallimard [trad, angl., Benveniste, E. (1977), *Problems in General Linguistics*, trad, par M. E. Meeks, Coral Gables, Fla., University of Miami Press].
- BRÉAL, M. (1877). *Mélanges de mythologie et de linguistique*, Paris, Hachette.
- Brock, J.E. (1981). «An Introduction to Peirce's Theory of Speech Acts», *Transactions of the Charles S. Peirce Society* 17, 319-326.
- BUHLER, K. (1932). «Das Ganze der Sprachtheorie, ihr Aufbau und ihre Teile», Kafka, G. (éd.), *Bericht tiber den XII. Kongress der Deutschen Gesellschaft fur Psychologie in Hamburg vom 12.-16. April 1931*, 95-122, Jena, Fischer.
- Carnap, R. (1939). *Foundations of Logic and Mathematics*, Chicago and London, University of Chicago Press [=International Encyclopedia of Unified Science, vol. 1, n\ 3].
- Gardiner, A. H. (Sir) (1919). «Some Thoughts on the Subject of Language», *Man* 2, 2-6.
- Garnier, A. (1852). *Traité des facultés de l'âme, comprenant l'histoire des principales théories psychologiques*, 3 vols, Paris, Hachette.
- Hart, H. L. A. ([1948] 1951). «The Ascription of Responsibility and Rights», Flew, A. (éd.), *Essays on Logic and Language (First Series)*, 145-166, Oxford, Blackwell.
- Humboldt, W. v. (1963). *Werke in FiinfBdnden*, Flitner, A. et K. Giel, K. (éds), *Schriften zur Sprachphilosophie*, vol. III, Darmstadt, Wissenschaftliche Buchgesellschaft.
- Humboldt, W. v. (1963 [1827-1829]). «Über die Verschiedenheiten des menschlichen Sprachbaues», Humboldt, W. v. (éd.), *Werke in Fiinf Bänden*, vol. HI, 144-367, Darmstadt, Wissenschaftliche Buchgesellschaft.
- Jakobson, R. (1960). «Closing Statement : Linguistics and Poetics», Sebeok, T.A. (éd.), *Style in Language*, 350-77, Cambridge, Mass., MIT Press.
- Malinowski, B. (1953 [1923]). «The Problem of Meaning in Primitive Languages», Ogden, C. K. et Richards, I. A. (éds), *The Meaning of Meaning*, 296-336, New York, Harcourt, Brace & Co, Inc.; London, Routledge & Kegan Paul.
- Marty, A. (1908). *Untersuchungen zur Grundlegung der allgemeinen Grammatik und Sprachphilosophie*, vol. I, Halle a.d. S., Niemeyer.
- Mead, G. H. (1934). *Mind, Self, and Society*, Chicago, University of Chicago Press.

- Morris, C. (1938). *Foundations of the Theory of Signs*, Chicago, University of Chicago Press [= «Foundations of the Theory of Signs», *International Encyclopedia of Unified Science*, vol. 1, n 2. Chicago, University of Chicago Press].
- NoORDEGRAAF, J. (1991). «Van Eeden, Bolland en Lady Welby. Significa in het licht der Rede», *Voortgang, Jaarboek voor de Neerlandistiek* 12, 281-298.
- PEIRCE, C. S. (1931-35). *Collected Papers*, Vols. 1-6, éd. par C. Hartshorne et P. Weiss, Cambridge, Mass., Harvard University Press.
- PRICHARD, H. A. (1949). *Moral Obligation; essays and lectures*, Oxford, Clarendon.
- Reid, T. (1872 [1774]). «A Brief Account of Aristotle's Logic, with Remarks», *Works*, vol. II.
- Reinach, A. (1913). «Die apriorischen Grundlagen des bürgerlichen Rechts», *Jahrbuch für Philosophie und phänomenologische Forschung* 1/2, 685-847 [trad. angl : «The Apriori Foundations of the Civil Law», par John F. Crosby, *Aletheia* 3, 1983, 1-142].
- Searle, J. R. (1984). «Interview [with G. Heyer and D. Munch]: Von der Sprechakttheorie zur Intentionalität», *Information Philosophie*, Janv. 1984, 24-30.
- Stewart, D. (1810). *Philosophical Essays*, Edinburgh, Creech.
- Tarde, G. (1973). *Ecrits de psychologie sociale; choisis et présentés par A.M. Rocheblave-Spenlé et J. Milet («Radamanthe»)*, Toulouse, Edouard Privat.
- Thiebault, D. (1802). *Grammaire philosophique, ou la métaphysique, la logique, et la grammaire, réunies en un seul corps de doctrine*, 2 vols, Paris, Courcier.
- Wittgenstein, (1958). *Philosophical Investigations* [2e éd. revue et corrigée, 1958, Oxford, Blackwell (1re éd. 1953)].
- بيبلوغرافيا (النصوص المذكورة في المقال):
- AUROUX, S. (1998). «Présentation: où naît la pragmatique?», *Histoire Épistémologie Langage* XX/I, 93-100.
- BERNHARDI, A.F. (1801). *Sprachlehre. Erster Theil. Reine Sprachlehre*, Berlin, Frölich [réimpr. Hildesheim-New York, Olms, 1973].
- Biletzki, A. (1991). «Richard Johnson: A Case of 18th-Century Pragmatics», *Historiographia Linguistica* 18/2-3, 281-300.
- Biletzki, A. (1996). «Is there a history of pragmatics?», *Journal of Pragmatics* 25, 455-470.
- BRAUNROTH, M. et al. (1978 [1975]). *Ansätze und Aufgaben der linguistischen Pragmatik*, Frankfurt a.M., Athenäum.
- DOUAY, C. (1984). «Pour une histoire des théories de renonciation: The Theory of Speech and Language de A. H. Gardiner (1932)», Auroux, S. et al., *Matériaux pour une histoire des théories linguistiques. Essays toward a History of Linguistic*

- Theories. Materialien zu einer Geschichte der sprachwissenschaftlichen Theorien, 505-513, Villeneuve d'Ascq, Presses Universitaires de Lille.
- Gardiner, A.H. (1932/1951). *The Theory of Speech and Language*, Oxford, Clarendon Press [2e éd. avec additions (p. 328-344), 1951; reimpr., 1963].
- Gardiner, A.H. (1989). *Langage et Acte de Langage. Aux sources de la pragmatique*, [trad. fr. de Douay, C, Villeneuve d'Ascq, Presses Universitaires de Lille].
- NERLICH, B. (1984). «Pour une histoire de la pragmatique», *Archives et Documents de la Société d'Histoire et d'Épistémologie des Sciences du Langage* 4, 45-68.
- NERLICH, B. (1986). *La Pragmatique: Tradition ou révolution dans l'histoire de la linguistique française?*, Frankfurt a.M./Bern/New York, Peter Lang.
- NERLICH, B. (1996). «Einführung in die Geschichte der Pragmatik», *Zeitschrift für Semiotik* 18/4, 413-421.
- Nerlich, B. (1998). «Linguistic Representation as 'Darstellung': From Bernhardt to Bühler», // *Cannocchiale. Rivista di studi filosofici* 1, 193-223.
- Nerlich, B. et Clarke, D.D. (1994). «Language, Action and Context. A history of pragmatics in Europe and America, 1800 to 1950», *Journal of Pragmatics* 22, 439-463.
- NERLICH, B. et Clarke, D. D. (1995). «The 1930s: At the birth of a pragmatic conception of language», *Historiographia Linguistica*. 334-311, 2211.
- Nerlich, B. et Clarke, D. D. (1996). *Language, Action, and Context. The early history of pragmatics in Europe and America, 1930-1780*, Amsterdam/Philadelphia, John Benjamins.
- Nerlich, B. et Clarke, D. D. (1998). «Reconstructing Research Programmes: Semantics and Pragmatics», Schmitter, P.; Van der Wai, M. (éds), *Metahistoriography. Theoretical and Methodological Aspects in the Historiography of Linguistics*, 163-155, Munster, Nodus Publikationen.
- NOORDEGRAAF, J. et Vonk, F. (éds) (en préparation). *The History of Semantics and Pragmatics in the Low Countries*, Amsterdam/Philadelphia, John Benjamins.
- Paulhan, F. (1886). «Le Langage intérieur et la pensée», *Revue Philosophique* 58-26, 21.
- Paulhan, F. (1927). «La Double fonction du langage», *Revue Philosophique* 73-22, 104.
- POSNER, R., ROBERING, K. et SEBEEK, T. A. (éds) (1998). *Semiotics. A handbook on the sign-theoretic foundations of nature and culture*, 3 vols (HSK Band 13), Berlin-New York, Walter de Gruyter.
- Reid, T. ([1785] 1872). «Essays on the Intellectual Powers of Man», *Works*, vol. I.
- Reid, T. ([1863] 1872). *The Works of Thomas Reid, Now Fully collected, with selections from his unpublished letters. Preface, notes and supplementary dissertations*, by Sir

- William Hamilton. Prefixed, Stewart's account of the life and writings of Reid, vols I and II. Seventh edition. Edinburgh, Maclachlan and Stewart; London, Longman, Green, Longman, Roberts, and Green [reimpr. Hildesheim, Olms, 1967 et 1983].
- Schlieben-Lange, B. ([1975] 1979). *Linguistische Pragmatik*, Stuttgart/ Berlin /Koln/ Mainz, Kohlhammer.
- Schlieben-Lange, B. (1989). «Elemente einer pragmatischen Sprachtheorie in den Grammaires générales um 1800», *Zeitschrift für Literaturwissenschaft und Linguistik* 76, 93-76.
- Schuhman, K. et Smith, B. (1990). «Elements of Speech Act Theory in the Work of Thomas Reid», *History of Philosophy Quarterly* 7/1, 47-66.
- SEUREN, P. A.M. (1998). *Western Linguistics. An historical introduction*, Oxford, Blackwell.
- VATER, J.S. (1801). *Versuch einer allgemeinen Sprachlehre. Mit einer Einleitung über Begriff und Ursprung der Sprache und einem Anhang über die Anwendung der allgemeinen Sprachlehre auf die Grammatik einzelner Sprachen und auf die Poesie*, Halle a.d.S., Renger [réimpr. avec une introduction et un commentaire par Herbert E. Brekle. Stuttgart-Bad Canstatt, Friedrich Fromann Verlag, 1970].
- VERSCHUEREN, J., ÖSTMAN, J.-O. et Blommaert, J. (éds) (1995). *Handbook of Pragmatics: Manual*, Amsterdam/Philadelphia, John Benjamins.
- WEGENER, P. (1991/1885). *Untersuchungen über die Grundfragen des Sprachlebens*, Halle a.d.S., Niemeyer [Nouvelle éd. par E.F.K. Koerner avec une introduction par Clemens Knobloch, Amsterdam/Philadelphia, John Benjamins, 1991].
- WEGENER, P. (1921). Der Wortsatz, «*Indogermanische Forschungen*». 26-1, 39.